## وحدة الوجود في الأدب الصوفي:

سنحاول في هذه المحاضرة أن نتعرف على موضوع آخر وقضية من قضايا الأدب الصوفي، ألا وهي وحدة الوجود، فما نعني بها؟ ومن تكلم به في الصوفية؟ وكيف تجلى في الفكر والأدب الصوفي؟

تعد وحدة الوجود "منظومة صوفية فكرية سلوكية، يعبّر من خلالها الصوفي عن مضمون تجربته الروحية وفقا لدلالاتها المتعلقة بالوحدة تارة، وبالوجود تارة وبالتوحيد تارة أخرى؛ وحينما صارت تعبر عنه، وتفصح عن مضامينه في سلوكه وتوحيده ووجوده وتوحده مع خالقه، تجربة ولغة، وشعورا وحضورا في مدارج الترقي الروحي.." ، ولقد أثيرت مشكلة الكثرة في الفكر الصوفي من خلال مفهوم الوحدة؛ أي ليس بإنكار المحسوس ولا تعدد المظاهر، وغنما بإنكار تعدد الوجود كونه حقيقة واحدة

### وحدة الوجود لغة واصطلاحا:

#### في اللغة:

الوحدة مصدر ضد الكثرة، وهي كون الشيئ لا ينقسم، والكثرة كونها تقبل الانقسام وهي صفة للواحد، أما الوجود فهو مصدر وضده العدم، الوَحْدَةُ لغةً: "الانفراد، تقول: رأيتُه وَحْدَه" و"وَحَدَ يَحِدُ حِدَةً ووَحْداً ووُحُودَاً ووَحْدَةً: انفرد بنفسه." و"الوَحدة بالفتح هي ضد الكثرة."

#### في الاصطلاح:

مصطلح يُطلق على الذين يوحدون الله والعالم ويزعمون أن كل شيئ هو الله.. ، و(مذهب وحدة الوجود) بأوسع معنى له هو نظرية عن العلاقة بين الله والعالم ككل." ، وهذا المذهب قديم أخذت به البراهمتية والرواقية والأفلاطونية الجديدة، فالبرهمانيون يردون كل شيئ إلى الله ويعتقدون أن براهمان هو الحقيقة الكلية ونفس العالم وأن جميع الأشياء الأخرى ليست سوى أعراض ومظاهر لهذه الحقيقة[1]، والرواقيون يقولون أن الله والعالم موجود واحد، وان العالم لا ينفصل عن الله، أما فلاسفة الأفلاطونية الجديدة فيقولون أن الله واحد وان العالم يفيض عنه كفيض النور عن الشمس، وان للموجودات مراتب مختلفة إلا أنها لا تؤلف مع الله إلا موجودا واحدا"

فهذه النظرية توضح الصلة أو العلاقة بين الله ومخلوقاته من وجهة نظر صوفية فلسفية اسلامية، وهذا يعني امتزاج الصوفي القائل بوحدة الوجود مع نظرة الفيلسوف القائل بوحدة الوجود، فكان نتيجة هذا الصراع فلسفة وحدة الوجود الصوفية.

وهذا المذهب ينطوي على جانبين :

**الأول**: جانب صوفي ويتمثل في الجانب الروحي من الإنسان وعلاقته بالله باعتباره المصدر الذي جاء منه الوجود.

**الثاني**: فلسفي صوفي يتناول مظاهر الوجود الإنساني باعتباره الكمال المستمد من الله، وبوصفه الوجود الإلهي الذي ينعكس من وجود الإنسان بمقتضى الكمالات الإلهية بالأسماء الحسنى وتحققها بالذات اللاهية.

**مصادر فلسفة وحدة الوجود:**

يرجع ظهور هذه النظرية في الفكر الإسلامي الصوفي إلى تأثر المسلمين بالأفكار الصوفية الأجنبية من هندية وبوذية ويونانية وفارسية، فهي دخيلة على العقيدة الاسلامية كما ساعد على نشر هذه النظريات بين المسلمين وجود النظريات السابقة، وهي نظرية الاتحاد، فالاتحاد يدعو إلى زوال الشخصيات كلها وفنائها في حقيقة لا تغني ولا تتحول فكان وجودها هوى وعرضي والله وحده هو الموجود الدائم الثابت.

وعلى الرغم من التأثيرات الخارجية غير الإسلامية في التصوف الإسلامي التي أدت إلى ظهور هذه النظرية، فهذا لا يعدم وجود عوامل إسلامية نابعة من روح الإسلام أثرت في التصوف عموما وتجلت في نظرية وحدة الوجود.. منها القرآن الكريم، والأحاديث القدسية والنبوية الشريفة وعلم الكلام، والفلسفة الإسلامية والتصوف الإسلامي نفسه.

ومن أهم **الآيات القرآنية** التي اعتمد عليها متصوفة وحدة الوجود مضفين عليها طابع العقيدة الاسلامية

قوله تعالى: ( هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيئ عليم) (الحديد: 3)

أ- قول الله تعالى: ﴿كل شيء هالك إلا وجهه﴾ (القصص:88)

ب- قول الله تعالى: ﴿كل من عليها فان. ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام﴾ (الرحمن:26-27)

ج- قوله تعالى: (الله نور السموات والأرض) (النور: 35)

**ومن الحديث القدسي نجد** ما رُوِيَ عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: إن الله قال: من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب، وما تَقَرّب إليّ عبدي بشيء أحب إليّ مما افترضتُ عليه، وما يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبّه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن، يكره الموت، وأنا أكره

مساءته فكل هذه الآيات والأحاديث وغيرها تحاول إثبات عقيدتهم وشرحها ومدى اتصالها بالفكر الإسلامي،

## تجلي وحدة الوجود في الأدب الصوفي:

اكتملت معالم هذه النظرية في القرن السادس الهجري على يد محي الدين بن عربي الذي أكد على أن الوجود الحقيق هو وجود الله تعالى وكل ما سواه من الموجودات المختلفة عبارة عن ظواهر ومظاهر وتجليات لصفات وفيوضات عنه، فوجود الموجودات المختلفة قائم في وجوده تعالى متحقق في الوجود الخارجي بقدرته وإرادته ومشيئته تعالى، وعليه فالله سبحانه وتعالى هو الوجود الحقيقي المطلق الكلي الأزلي الواحد، وما الكثرة الظاهرة في الوجود فهي كثرة مردها إلى الواحد، فالله تعالى وموجوداته وجهين لحقيقة واحدة، وجودها الحقيقي الدائم الله، ووجودها المتكثر الزائل العالم والموجودات اللذان يمثلان وجودا غير حقيقي.

وقد أوضح الإمام الشعراني معنى وحدة الوجود عند الشيخ محيي الدين بن عربي بنحو ذلك فقال في بيان معناها:"...إن الوجود الحقيقي لله تعالى وحده، وأما غيره من العوالم كلها فهو موجود بإيجاده تعالى لا بنفسه، فإن شاء الحق تعالى أعدمه، وإن شاء أوجده."

فابن عربي إن الموجود علة، ولا موجود سواه، ونحن إن كنا موجودين فإنما كان وجودنا به ووجوده تعالى في غنى عن الدليل، وكيف يصح الدليل على من هو عين الدليل، وليس ثمة فرق بين الحق والخلق إلا بالاعتبار والجهة، فالله حق في ذاته، وخلق من حيث صفاته وهذه الصفات نفسها عين الذات (سبحان من أظهر الأشياء وهو عينها)

يقول ابن عربي:

**فـالحق خلـق بهـذا الوجـه فـاعتبروا ولـيس خلقـا بهـا الوجـه فـادكروا**
**جمـع وفـرق فـإن العـين واحـدة وهـي الكثيـرة لا تبقـي ولا تـذر**[2]

المراد بهذا الشعر أن الوجود حقيقة واحدة، فخلافا لما تعرضه الحواس علينا من كثرة الموجودات الخارجية، وخلافا لما تصل إليه العقول من ثنوية الله والعالم، والحق والخلق، فالوجود ليس تكثرا وتعددا وثنويه، وإنما الحق والخلق وجهان لحقيقة وعين واحدة، فلو نظرت إلي هذه الحقيقة من جهة الوحدة لوجدت الحق، ولو نظرت ألبها من جهة الكثرة لوجدت الخلق، فالله رب العالمين هو عين ذات الحق وواحد ومتنزه في مرتبة الذات في الحضرة الأحدية، .. وخلق في مرتبة الكثرة والتي هي مرتبة الفرق وظهور الحق بحيث المظاهر والأسماء والصفات، أي بالرغم أن العين واحدة إلا أن التعيينات كثيرة.

فإذا قال الصوفي لا أرى شيئا إلا وأرى الله فيه، فهو في حالة وحدة الوجود، والتي تقوم بوحدة الحقيقة الوجودية بين جميع الكائنات عبر سريان الذات الإلهية في صور الموجودات، وطابعها العموم، لأنها تشمل الكون بكل ما فيه...إنّ وحدة الوجود ليست تعبيرا عن اتصال شخصي بالذات الالهية أو فناءً فيها، بل هي فكرة يغلب عليها الطابع الفلسفي في التعبير عن وحدة الخالق والمخلوق من خلال نفي الإثنينية

وأوضح الشيخ أبو مدين الغوث معنى وحدة الوجود ووحدة الشهود عند الصوفية في أبيات موجزة إذ قال:

**"اللهَ قل وذرِ الوجود وما حـوى إن كنت مرتاداً بلوغ كـــمال**
**فالكل دون الله إنْ حقـــقــته عدم على التفصيل والإجمال**
**واعلم بأنك والعـــوالم كـــلها لولاه في محو وفي اضمــحلال**
**من لا وجود لــذاته من ذاتــه فوجوده لولاه عين مـــــحال**
**فالعارفون فنوا ولما يشـــهدوا شيئا سوى المتكبر المـــتعالِ**
**ورأوا سواه على الحقيقة هالكاً في الحال والماضي والاستقبال**
**فالمح بعقلك أو بطرفك هل ترى شيئا سوى فعلٍ من الأفعالِ"[3]**

**وقال:**

**"اللهُ ربي لا أريد ســـواه هل في الوجود الحي إلا اللهُ**
**ذاتُ الإله بها قِوامُ ذواتنا هل كان يوجدُ غيره لـــولاهُ"[4]**

والنماذج الدالة والمعبرة عن فلسفة وحدة الوحدة كثيرة وموجودة بكثافة في التراث والأدب الصوفي، في كل أشكاله الشعرية والنثرية. لكننا نكتفي بما ذكرنا.

**<u>خاتمة:</u>**

إذن فالوجود -عند فلاسفة المتصوفة وأدبائها- بأسره واحد وليس فيه ثنائية ولا تعدد، على الرغم من ثنائية الله والعالم، الحق والخلق، فالحق والخلق هما اسمان لحقيقة واحدة، وكل ما في الوجود هو الله، فنحن موجودون به، ومن كان وجوده بغيره فيدخل في حكم العدم.

## الاحالات: (المصادر والمراجع)

[1] التصوف، دراسات وأبحاث، مجموعة مؤلفين إشراف: عامر عبد زيد الوائلي، منشورات الاختلاف، لبنان 2015 ط1، ص: 116.

[2] المرجع نفسه، ص: 269.

[3] محمود، عبدالحليم. شيخ الشيوخ أبو مدين الغوث(ت594هـ) حياته ومعراجه إلى الله، القاهرة: دار المعارف، د.ت، ط2، ص122-123.

[4] المرجع السابق، ص123.